الجسر عليه من برجه المتنقل «بدون مقاومة، ورفع سلالمه إلى الأسوار، ودخل المدينة من دون أدنى إعاقة»[59] من قبل المسلمين الذين كانوا قد تخلوا، نهائياً، عن القتال. وفتح ريموند الباب الجنوبي (باب النبي داود) لقاتليه فدخلوا المدينة منتصرين. أما افتخار الدولة، فقد طلب من ريموند الأمان لكي يخرج ورجاله من القلعة ويغادروا المدينة، فأمنه ريموند، وخرج افتخار الدولة ورجاله إلى عسقلان حيث انضموا إلى ما تبقى في فلسطين من جيوش إسلامية[60]. وهكذا سقطت القدس، كلها، بيد الغزاة الصليبيين، يوم الجمعة في الخامس عشر من تموز عام 1099م الموافق للثالث والعشرين من شعبان عام 492هـ، وذلك بعد حصار دام 39 يوماً، من 7 حزيران/ يونيو حتى 15 تموز/ يوليو. (انظر الخارطة رقم 2).

هـ ـ وحشية الحضارة الغربية الصليبية

يذكر ابن الأثير أن الصليبيين قتلوا، في المسجد الأقصى «ما يزيد على سبعين ألفاً، منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبّادهم وزهّادهم»[61]. أما من كان في القدس من اليهود، في هذه الأثناء (وكان افتخار الدولة قد سمح لهم بالبقاء في المدينة بينما أمر المسيحيين بالخروج منها خشية أن يتعاطفوا مع أبناء دينهم)، فقد لجأوا إلى كنيسهم، إلا أن المقاتلين الصليبيين حشروهم جميعاً في «معبدهم الكبير» حيث لجأوا، وأحرقوا المعبد، وهم بداخله، فقضوا جميعهم حرقاً «بحجة أنهم ساعدوا المسلمين». ويقول «ابن القلانسي» في ذلك، وهو قد عايش هذه الفترة وزامنها: «وقتل خلق كبير، وجمع اليهود في الكنيسة وأحرقوها عليهم»[62].

ويذكر رنسيمان أن مذبحة القدس تركت «أثراً عميقاً في جميع العالم» وأن عدد ضحاياها «ليس معروفاً بالضبط»، وأن القدس خلت، بعد هذه المذبحة، «من

---

(59) الصوري، المصدر السابق، ج 1: 435، و Grousset, Op. Cit., pp. 168-169.

(60) الصوري، م. ن. ج 1: 442، ورنسيمان، المصدر السابق، ج 1: 425 ـ 426، و Grousset, Op. Cit., p. 160

(61) ابن الأثير، المصدر السابق، ج 10: 283 ـ 284.

(62) رنسيمان، المصدر السابق، ج 1: 427، وابن القلانسي، (ذيل) تاريخ دمشق، ص 222.